

﴿يا أيها الذين آمنوا فؤا أنفسكم وأهلكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظٌ شداذ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (التحریم: ٧)

ثم قال: خطابي اليوم يتعلق بتربية الأولاد، وآمل أن الأمهات سوف يُربين أولادهن الذين هم مستقبلهن تربية حسنة على ضوء هذا الخطاب. فأول حديث أقدمه في هذا الصدد مرويًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه." (مسلم، كتاب القدر) فهذه لبشارة عظيمة بأن الله تعالى يخلق كل مولود - كائنًا من كان - على الفطرة السليمة.

ثمة أولاد يولدون نتيجة الاغتصاب. ولقد وُلد في البوسنة أمثال هؤلاء الأولاد، فسألني أمهاتهم عن مصيرهم، فأجبت: لا ذنب لهؤلاء، فإنهم أهل الجنة، أما الذين قاموا بهذا الظلم فهم أصحاب الجحيم. وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الأطفال كلهم يولدون على الفطرة.

إذن ثمة نقطة هامة جدًا ينبغي أن تُلقَى لها الأمهاتُ الأحمدياتُ بالهن وهي أن الأولاد الذين يولدون على دين الفطرة إذا نشأوا وكبروا تحت

تربية الأولاد

خطاب أمير المؤمنين - نصره الله تعالى - ألقاه في خيمة السيدات خلال المؤتمر السنوي العالمي في ألمانيا، ٢٥ أغسطس/ آب ٢٠٠١ م

ترجمة: داود أحمد عابد*

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (آمين)

«تشر أسرة التقوى هذه الترجمة على مسؤوليتها»

* داعية إسلامي أحمدي

تربيتهن وصاروا يهودًا أو نصارى أو مجوسًا فليس في ذلك ذنب لهؤلاء الأطفال، وإنما يرجع سببه إلى تقصير الأبوين.

عن أيوب عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: "ما نحل والدٌ ولدًا من نحل أفضل من أدب حسن". (الترمذي، أبواب البر والصلة)

وورد في حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "الرجل على دين خليله،

فلينظر أحدكم من يخال".

(الترمذي، أبواب الزهد)

إذن يجب الانتباه إلى

أصدقاء الأولاد منذ نعومة

أطفالهم ويجب أن نرى من يتخذ الأولاد كأصدقاء. ثمة أناس لا يعيرون لهذا الأمر اهتمامًا مع أنهم يدركون تمامًا أحوال أصدقاء أطفالهم، فإن كانوا صالحين يتربى الطفل تربية حسنة تلقائياً. لذا عليكم أن تهتموا بأصدقاء أولادكم، بحيث إذا كانوا من قبيل قرناء سوء فاسعوا إلى فض العلاقات بينهم. أقرأ لكم في هذا الصدد قولاً لسيدنا المسيح الموعود

ﷺ، يقول حضرته:

صدقة.

"تذكروا جيّدًا أنه لا شيء ينفع ما لم تكن مع الله صلة، وما لم تنشأ به علاقة صافية. انظروا إلى اليهود! أمّا كانوا من سلالة الأنبياء؟ إنهم قوم كانوا يفتخرون بذلك ويقولون "نحن أبناء الله وأحبّواؤه"، لكنهم حينما قطعوا علاقاتهم بالله تعالى وآثروا الحياة الدنيا فما ذا كانت النتيجة؟ ستأهم الله تعالى الخنازير والقردة.

وثمة رواية أخرى عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: "وُلِد لي غلام فأتيْتُ النبي ﷺ، فسَمَّاه إبراهيم، فحَنَنكهُ بتمرة، ودعا له بالبركة". (البخاري، كتاب العقيدة)

كان من دأب النبي ﷺ أنه كان يسمي الأطفال بأسماء حسنة تفاؤلاً، وينبغي أن تسموا أنتم أيضاً أولادكم بأسماء ليست مترنمة على السماع فقط وإنما تكون ذات مدلول وأن تكون جيدة المعنى أيضاً، ففي كثير من الأحيان ينشأ الطفل ويتربى حسب تسميته. فهذه كانت سنة النبي ﷺ، ولأجل ذلك سُمي الطفل إبراهيم.

يحنك الناسُ الأطفالُ في هذه الأيام بالعسل، أمّا النبي ﷺ فثبت عنه أنه ﷺ حنَّك بالتمرّة. يقول سيّدنا المسيح الموعود ﷺ: "إذا تمّنى أحدكم الأولاد فلتكن أمنيته أن يُولد له ولد يكون وسيلةً في إعلاء كلمة الإسلام. فإذا كانت الأمنية طيبة فإن الله قادر على أن يرزق الأولاد كما رزق زكريا عليه السلام". (الملفوظات المجلد الثالث ص ٥٧٩).

★ عاملوا أولادكم بالعدل والمساواة، وأكرمهم وربّوهم تربيةً حسنة.

★ إن الحب الزائد للأولاد يعرض الإنسان للفتن الكبيرة.

★ لن يكون نصحكم لأولادكم بالحسنة مجدياً ما لم تتداركوا أحوالكم أولاً.

★ لا بد من خلق النفور من الكذب لدى الأطفال منذ نعومة أظفارهم.

★ لا يدمر الله تعالى بيتاً يداوم فيه على الدعاء.

فالآن بالرغم من الأموال الطائلة لديهم فإن حالتهم ليست خافية على أحد". (الملفوظات المجلد ٨ ص ١٠٩ و١١٠) قال رسول الله ﷺ: "خير ما يخلفه الرجل من بعده ثلاث.. ولدٌ صالح يدعو له، وصدقةٌ تجري يبلغه أجرها، وعلمٌ يُعمل به من بعده". (ابن ماجه، المقدمة، باب ثواب معلم الناس) فمجرد العلم لا يُعتبر صدقة وإنما العلم الذي يُعمل به من بعده فهو

أي إذا كان الإنجاب مستحيلا لأحد في بادي الأمر، ولكن إذا كانت لديه النية أن يولد له أولاد أطهار، وإلى جانب ذلك يتضرع إلى الله تعالى ويرفع البكاء في حضرته دون بأس ولا قنوط، ففي مثل هذه الحالة يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "ليس من المستبعد أن يرزقه الله تعالى أولادًا صالحين استجابةً لأدعيته المتضرعة على الرغم من الحالات المستعصية.

يقول حضرته أيضاً: "نسمع في بعض الأحيان أصحاب العقارات يقولون: "ليكن هناك ولد يرث هذا العقار لئلا يذهب في يد الأغيار. لكنهم لا يدرون أن الأولاد والشركاء كلهم يصبحون - بعد الموت - أغيارا بالنسبة لهم. فإذا كانت ثمة أمنية للأولاد فلتكن لأولاد يخدمون الدين". (الملفوظات المجلد الثامن ص ١١٠)

عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم. (ابن ماجه، أبواب الأدب)

هذا الأمر هو الآخر ضروري. إن الضجر والتوبيخ الزائدين للأطفال وتخطبهم دون الاحترام أمور تُفسد تربية الأولاد، وبالتالي لا ينشؤون على احترام الأبوين.

في إقليم "أترا برديش" الهندي لا يخاطب الناس أولادهم إلا بصيغة

” إذن فالتربية لا تتم إلا في الطفولة، فإذا لم نعلم الطفل قول البسملة في صغر سنه لن يتعلم هذا الأمر في الكبر،... لذا ليس عليكم إلا أن تأكلوا براحة وطمأنينة. إن تناول الطعام باطمئنان يساعد في الهضم، ومن يتناول الطعام مضطربا فإنه يتضرر.

“

الموعود عليه السلام لربما هو نتيجة طلبات أناس كانوا يطلبون من حضرته الدعاء للأولاد ولكنهم ما كانوا يباليون بتربيتهم الحسنة. أمّا الآن، فكما أتذكر، أن معظم الناس عندما يكتبون إلي للدعاء أن يُرزقوا الأولاد، يطلبون الدعاء بأن يكون أولادهم صالحين.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "لقد غدا من عادتي أنني لا أصلي صلاة إلا وأدعو بها لأصدقائي وأولادي وزوجتي". (الملفوظات المجلد الثاني ص ٣٧٢)

ورد في صحيح البخاري عن عمر بن أبي سلمة يقول: "كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا غلام! سمّ الله وكُلْ يمينك وكُلْ مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد". (البخاري، كتاب الأطعمة)

فالتربية لا تتم إلا في الطفولة، فإذا لم نعلم الطفل قول البسملة في صغر سنه لن يتعلم هذا الأمر في الكبر، وكذلك

الجمع، فكذلك إذا استطعتم أن تخاطبوا أطفالكم بصيغة الجمع فافعلوا، فهذه عادة حسنة، فإذا احترم الأبوان الطفل يحترمهما، أما إذا لم يؤدّباه فإنه سوف ينشأ قليل الأدب ولن يحترمهما فيما بعد وإن صار كبير السن.

تقول عائشة رضي الله تعالى عنها: "ما رأيت أحداً كان أشبه سمّاً وهدناً ودلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة رضي الله تعالى عنها. كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده وقبّلته وأجلسته في مجلسها". (أبو داؤد، كتاب الأدب)

ثمة قول آخر لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "إن الناس يرغبون في الأولاد ويُرزقون أيضاً بالأولاد، ولكنهم لا يفكرون في تربيتهم ولا يسعون لجعلهم طيبين وصالحين ومطيعين لله، فلا يدعون لهم ولا يأخذون أمور تربيتهم في عين الاعتبار."

أقول: إن هذا القول لسيدنا المسيح

لحاجة، فقلتُ: والله لا أذهبُ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبيُّ الله ﷺ. فخرَجْتُ أمرُّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبَضَ بقفائي من ورائي. قال: فنظَرْتُ إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيسُ أذهبَتَ حيث أمرتُك؟ قال: قلتُ: نعم! أنا أذهب يا رسول الله! قال أنس: والله لقد حَدَمْتُهُ تسعَ سنين ما علمتُه قال لشيءٍ صنعته: لمَ فعلتَ كذا وكذا؟ أو لشيءٍ تركته: هَلَا فعلتَ كذا وكذا؟ (صحيح مسلم، كتاب الفضائل)

ويظهر من ذلك أن النبي ﷺ كان يحب سيدنا أنسًا ﷺ ويفرق به كثيرا حتى إذا صدر منه تقصير فيما وُكِّل إليه من عمل فكان ﷺ يعفو عنه.

عن عبد الله بن جعفر قال: "كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلقِي بالصبيا من أهل بيته. قال: وإِنَّه قَدِمَ مرةً من سفر، قال: فسُبق بي إليه، قال: فحملني بين يديه، قال: ثم جيء بأحد ابني فاطمة إما حسن وإما حسين فأردفَه، قال: فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة." (مسند أحمد بن حنبل، مسند أهل البيت)

لقد ولَّى زمن الجمال لكنكم إذا اجلستم الأولاد معكم أو إذا كنتم تسوقون المركبة أو السيارة وأركتبتم أولادكم وأجلستموهم في الحضن فإنه من سنة

وفي رواية أخرى أدخل النبي ﷺ إصبعه في فم حفيده وأخرج منه التمرة.

وهناك رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال: "قبل النبي ﷺ الحسن ابن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: "إن لي عشرةً من الولد ما قبلتُ منهم أحداً!" فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: مَنْ لا يرحم لا يُرحم". (البخاري، كتاب الأدب)

ثمة رواية أخرى في الأدب المفرد للبخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: "أتى النبي ﷺ رجلٌ ومعه صبيٌ يضمُّه إليه. فقال النبي ﷺ: أترحمه؟ قال: "نعم". قال: الله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين". (الأدب المفرد للبخاري، باب رحمة العيال)

عن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: إنَّ لله تبارك وتعالى عبادًا لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولا ينظر إليهم. قيل له: مَنْ أولئك يا رسول الله؟ قال: متبرُّ عن والديه راغبٌ عنهما ومتبرُّ عن ولده، ورجلٌ أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم وتبرَّأ منهم. (مسند أحمد بن حنبل، مسند المكيين)

قال أنس: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقًا، فأرسلني يومًا

الأمر بتعليم تناول الطعام مما يليه، فينبغي ألا تطيش الأصابع في الصحن هنا وهناك. فإن الأطفال الذين يبحثون عن اللد طعام وأطيب لحمٍ علّموهم أنكم سوف تناولون هذا النوع من الطعام أيضا، لذا ليس عليكم إلا أن تأكلوا براحة وطمأنينة. إن تناول الطعام باطمئنان يساعد على الهضم، ومن يتناول الطعام مضطربًا فإنه يتضرر.

ثمة رواية عن طفل يرويها رافع بن عمرو الغفاري قال: "كنتُ وأنا غلامٌ أرمي نخلًا للأنصار فأُتي النبي ﷺ فقيل: إنَّ ههنا غلامًا يرمي نخلنا، فأُتي بي إلى النبي ﷺ، فقال: يا غلام! لمَ ترمي النخل؟ قال، قلت: أكل. قال: فلا ترم النخل، وكل ما يسقط في أسافلها! ثم مسح رأسي وقال: اللهم أشبع بطنه".

(مسند أحمد بن حنبل، مسند البصريين) وهذا يعني أنه إذا كان ثمة فاكهة طريحة على الأرض من دون أن تُسقط بالرمي فيحوز أكلها في رأي النبي ﷺ. هذا وإن النبي ﷺ مع تعليمه للطفل دعا له بأن يمأأ الله بطنه، فلم يطمع هذا الطفل طيلة حياته.

عن أبي هريرة ﷺ أن الحسن بن علي أخذ تمرًا من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ بالفارسيّة: (كخ كخ!) أما تعرف أننا لا نأكل الصدقة؟. (البخاري، كتاب الجهاد والسير)

النبي ﷺ، وكنتُ أنا أيضاً أتبع هذه السنة إذ كنت أحتضن بناتي واحدة بعد أخرى عندما كنت أسوق السيارة. وثمة رواية أخرى عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيتعديني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما. (البخاري، كتاب الأدب) والآن أقدم رواية عن السيد يعقوب علي عرفاني ﷺ وردت في كتاب سيرة المسيح الموعود: "أنه ﷺ كان يخرج من بيته دون تردّد محتضناً بعض أولاده، كما كان يحتضنهم أثناء النزهة أيضاً مع أن خدامه وأصحابه كانوا يحسبون من سعادتهم أن يحملوا أولاد حضرته ﷺ، لكنّه كان يحتضنهم رغبة في رضاهم أو لإصرارهم، فكان يُرضيهم بهذا العمل ثم يناول لبعض خدامه إيامهم". أي كان يحتضن أحد أولاده ويسير لبعض الوقت ثم يناوله أحداً من خدامه حسب رغبة الخادم. ويستطرد الراوي قائلاً: "عند وفاة كريمته الأنسة «أمة النصير» حملَ جنّازتها ووصل حاملاً إياها إلى السوق الصغير أي إلى كراج الباصات". (سيرة المسيح الموعود ﷺ، تأليف يعقوب علي عرفاني ص: ٣٨٩)

يروى السيد عبد الكريم السالكوتي ويقول: "لقد شاهدت مراراً أنه ﷺ كان يجلس مع الأولاد على السرير، والأولاد قد اضطروه أن يجلس على مؤخرة السرير، وأخذوا يروون له قصص الضفادع والغربان والعصافير بلهجة الطفولة، واستمرّوا في بيان هذه الحكايات إلى ساعات طويلة وحضرته ﷺ يستمع إليهم متمتّعاً كأن أحداً يلقي عليّ مسامع حضرته حكايات من مشوي مولانا روم. وكان يعارض بشدّة فكرة ضرب الأطفال وضجرهم وتوبيخهم، فما كان يضرب الأطفال ولا يضجرهم ولا يصدر عنه ما يُظهر سخطه عليهم ولو شغبوا وأزعجوه بأسئلة لا محل لها وأصروا للحصول على شيء لا يكاد يوجد أصلاً". (سيرة المسيح الموعود ﷺ ص: ٣٥) كذلك ينبغي بيان القصص الممتعة أيضاً للأطفال. روي أن سيدنا المسيح الموعود ﷺ قال: "ينبغي أن تُروى القصة الجيدة لأن الأطفال يتعلمون من خلالها ويعقلون". (سيرة المسيح الموعود ﷺ، تأليف يعقوب علي عرفاني ص: ٣٨٤) كنت أنا أيضاً أحكي الحكايات للأطفال في البرنامج التلفزيوني لتعليم اللغة الأردنية "أردو كلاس"، وكنت أنسخ القصص من عندي ثم أحكيها

لهم، وكان الأطفال يستمتعون بها ويتعلمون اللغة الأردنية، وكنت هكذا أنتهز الفرصة -بتوفيق من الله- لتأسي أسوة سيدنا المسيح الموعود ﷺ. وفي رواية عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به إلى النبي ﷺ فقال: "إني نخلتُ (أي أعطيت) ابني هذا غلاماً". فقال: أكلُّ ولَدك نخلتَ مثله؟ قال: لا. قال: فأرجعه. وفي رواية أنه قال: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. فرجع فردّ عطيته. (البخاري كتاب الهبة) وفي رواية أنه ﷺ قال: لا تُشهّدني على جور، لا أشهد على جور. (البخاري، كتاب الشهادات) كما هو معلوم أن بعض الأطفال يكونون أحب إلى الأبوين من الآخرين، لكن التعامل بالعدل بين الأطفال أمر لا بدّ منه وإلا يتولّد بينهم شعور البخل والنفور تجاه إخوانهم الآخرين. إن سيدنا حضرة المسيح الموعود ﷺ كان يعارض بشدّة فكرة ضرب الأطفال، وكان قد أعطى تعليمات صارمةً للأساتذة ألا يضربوا التلاميذ في المدرسة، وإذا وصلت إليه شكوى من طالب أن الأستاذ قام بضربه فكان يكره ذلك كثيراً، وقد تم سنُّ الأحكام العديدة كيلا يعاقب الأطفال عقاباً جسدياً، وكان يقول عن صغار السن بأنهم لم يُكلّفوا بعد من الله

الناس يُفسدون أخلاق أولادهم بسبب الدلال الزائد، ولذلك فإنهم هم المسؤولون عن ذنوب أولادهم عند ما يكبرون. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"يجب على الإنسان إلى جانب إحداث تغيير في حالته ودعائه لنفسه، أن يستمر في الدعاء لأولاده وزوجته أيضاً، لأن كثيراً من الفتن يتعرض لها الإنسان من جرّاء أولاده".
(الملفوظات ج ٥ ص ٤٥٦)

وقال عليه السلام: "مناسبة أخرى: وإنه لعمل غير مُجدد، بل من المعصية والإثم أن يتمنى الإنسان أولاداً إذا لم تكن النية أن يكونوا متدينين ومتقين وخدام الدين، مطيعين لله، وإلا من الممكن أن يسمّى هؤلاء بـ"البقيات السيئات" بدل "البقيات الصالحات".

أي إن الظن في مثل هؤلاء الأولاد أن يكونوا بارين ليس إلا وهمًا، إذ سيظل أمثال هؤلاء متوغلين في الآثام.

"...أما إذا قال أحد بأنه يبغى أولاداً صالحين مواسين لخلق الله وخدام الدين، فقله هذا ليس سوى ادعاء فارغ ما لم يحدث في نفسه تغييراً إلى صالحاً".

على العموم يريد الأبوان أن يكون أولادهما بارين ولكنهما لا يُحدثان تغييراً في نفسيهما، والأولاد أذكياء ودائماً يراقبونهما ويدركون أنهما

” يجب أن يكون هذا الضرب خفيفاً مثل ضرب كفّ مرة أو مرتين على الظهر، وليس الضرب القاسي بالعصا وغيرها من الأشياء.... ولا يجوز الضرب بعد أن يبلغ الأطفال الثاني عشر من عمرهم، بل اتركوا أمرهم على الله، عندها سوف تعينهم تربيتم التي قمتم بها في طفولتهم أو الأدعية التي تدعونها لهم.“

خفيفاً مثل الضرب بالكفّ مرة أو مرتين على الظهر، وليس الضرب القاسي بالعصا وغيرها من الأشياء، الأمر الذي ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقول اجعلوهم ينامون في سرهم وُحداناً.

ولا يجوز الضرب بعد أن يبلغ الأطفال الثاني عشر من عمرهم، بل اتركوا أمرهم على الله، عندها سوف تعينهم تربيتم التي قمتم بها في طفولتهم أو الأدعية التي تدعونها لهم. عن بن عباس رضي الله عنه قال: "بِتُّ عند خالتي، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من الليل، فقمْتُ أصلي معه، فقمْتُ عن يساره، فأخذ برأسي فأقامني عن يمينه".

(البخاري، كتاب الأذان)

ليكن معلوماً أن الطفل - في مثل هذا الوضع - يقوم عن يمين الإمام أما البنت فتقوم عن شماله.

أحبُّوا أولادكم! لكن الأمر الذي لا بد أن يكون في الحسبان هو أن حب الأولاد هو الآخر يعرض الإنسان لابتلاءات شديدة. هذا وإن معظم

فكيف أصبحوا مكلفين لديكم؟ (سيرة المسيح الموعود عليه السلام، تأليف يعقوب علي عرفاني ص: ٣٦٥) يعني أنهم ما بلغوا بعد عمراً ليصبحوا مسؤولين أمام الله تعالى فلا يجوز لكم أن تقسوا عليهم قبل سنّ البلوغ.

ثمة حديث عن أنس رضي الله عنه يقول: "أتى عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أَلعب مع الغلمان، قال فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأتُ على أمي، فلما جئتُ قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحاجة! قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌّ! قالت: لا تحدّثن بسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدًا! قال أنس: والله لو حدّثتُ به أحدًا لحدّثتُك يا ثابت! (مسلم، كتاب فضائل الصحابة)

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع. (أبو داؤد، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة) أقول: يجب أن يكون هذا الضرب

يستحبّان السيئة ويأمرانا بالبرّ، لذا فقد أرشدنا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وعلمنا هذه النقطة أن مجرد نصحك أولادكم بالخير قولٌ لا يُجدي نفعاً.

"فإذا كان الإنسان يقضي حياته في الفسق والفجور ويدّعي بلسانه أنه يبغى أولادًا صالحين أتقياء فهو كذاب في دعواه. فقبل التمتّي بالأولاد الأتقياء والصالحين على الإنسان أن يُصلح نفسه ويجعل حياته حياة التقاة. عندها تأتي أمنيته بنتيجة مرضية، ويكون الأولاد جديرين بأن يطلق عليهم، "الباقيات الصالحات"، لكنه إذا كانت النية أن يخلد اسمه فقط وأن يرث الأولاد الأملاك والأموال ويكونوا ذائعي الصيت ومن المعروفين، فإن هذا شرك في رأيي". (الملفوظات ٢ ص ٣٧٠ و ٣٧١)

ثمة رواية عن حضرة المولوي عبد الكريم السالكوتي تقول:

"كان عليه السلام يعنى بالأولاد ويربيهم بحيث يُخيّل للناظر في بادي الأمر أنه ليس ثمة من يحب الأولاد مثل حضرته. كان يهتمّ بهم عند المرض ويداويهم ويعالجهم بعناية كبيرة كأنه ليس ثمة ما يشغل باله سوى هذا الهمّ، لكن الناظر المتعمق يستطيع أن يلاحظ أنه لا يقوم بهذه الأعمال إلاّ لله تعالى ولأجله يقوم برعاية خلقه الضعيف

وتريبته. إن كريمته الكبرى "عصمت" مرضت بداء الكوليرا في مدينة "لودهيانه" فعالجها بعناية كبيرة كأنه لا حياة له بدونها، ولا يمكن حتى لشخص دنيوي محبّ للأولاد أن يقوم أكثر مما قام به حضرته من الاهتمام والرعاية. لكنها حينما فارقت الحياة، تنحى عنها وكأنها لم تكن شيئاً مذكوراً، ولم يذكر لأحد شيئاً عن هذه البنت". (سيرة المسيح الموعود عليه السلام تأليف السيد عبد الكريم السالكوتي ص ٥٣)

لقد ذكرت عمّتي السيدة «نواب مباركه بيجم» بعض أساليب اتخذتها أم المؤمنين رضي الله عنها في التربية، وهي بمثابة المرشد الدائم لكم طيلة الحياة، فإذا انتهجتن هذا المنهج فلسوف يستمر أولادكم على درب الحسنة حتى يكبروا، تقول:

"لقد قمتُ بالمطالعة للعديد من المؤلفين من العامّة والخاصّة في صدد التربية لكنني ما عثرت على أحد خيراً من أمّنا المحترمة. فعلى الرغم من أنها لم تتعلم في أية مدرسة إلا أنني كلما أمعنت النظر في مناهجها التربوية وجدت أن فضل الله الخاصّ إلى جانب تربية المسيح الموعود عليه السلام هو مدار هذا الأمر".

"إنّ الثقة بالطفل والمثابرة في ذلك يجعل الطفل يستحيي ويحجل من أن

يهتك هذه الثقة، فكانت الثقة بالطفل من أفضل أساليب تربيتها رضي الله عنها".

إذاً ينبغي أن تثقوا بالطفل وألاّ تنظروا إليه بنظرة الشك والريبة، ولسوف يعود إلى الصلاح بتأثير نظراتكم المعتمدة تجاهه ولو كان على الخطأ، ولن يكذب أمامكم بفضل الله فيما بعد أيضاً إذا لاحظت ثقتكم به.

النفور من الكذب هو الدعامة الأساسية في التربية، وينبغي خلق الكراهية من الكذب في نفس الطفل منذ نعومة أظفاره. تقول عمّتنا الكريمة:

"إن أم المؤمنين رضي الله عنها كانت تنصحنا دائماً أن نجعل الطفل يتربى على الطاعة، فإذا كان الأمر كذلك فلن تكون ثمة مشكلة وإن صدر من الطفل بعض مضايقات الطفولة".

فتحملوا المضايقات، ولكن لا تصبروا على الكذب، فإن الطفل الذي يمتنع كلّما مُنع من شيءٍ فإنصاحه ممكن. تقول رضي الله عنها إنكم إذا عودتموهم على الطاعة فهناك أمل دائم للصلاح، وعلى هذا الأساس كانت أمّنا قد ربّتنا، وما كان ليخطر في بالنا أن نقوم بما لا يُرضي أبويننا في حالة غيابهما أيضاً. كانت والدتنا المحترمة تقول دائماً: "إن أولادي لا يكذبون". واعتمادها هذا علينا كان يُبعدنا من

اسما فسوف تستمر بعده هذه التربية في الأولاد الآخرين أيضا بإذن الله. هناك رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: ثلاث دعوات يُستجاب لمن لا شكَّ فيهنَّ؛ دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد للولد. (ابن ماجه، كتاب الدعاء)

"تتوهم الأمهات أن الإبن سيصاب بالعين، أو إن عين فلان ستصيبه، فاذكروا في هذا الصدد دعاء سيدنا رسول الله ﷺ:"

"عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق؛ أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة. (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن أسلوبه في الدعاء: "أولاً: أدعو لنفسي بأن يوفقني الله تعالى بما يظهرُ به عزُّه وجلالُه، وأن يوفقني بأن أرضاه رضىً كاملاً. ثانياً: ثم أدعو لأهل بيتي بأن يهبني الله منهم قرّة أعين وأن يتقدموا في سبل مرضاته عزّ وعلا. ثالثاً: أدعو لأولادي بأن يصبحوا حذّام الدين. رابعاً: ثم لأصدقائي المخلصين اسماً

اسما. خامساً: ثم أدعو بالدعاء لكل أولئك الذين قد انخرطوا إلى هذه الجماعة سواء عرفتهم أم لم أعرف". (جريدة الحُكَم اليومية، ١٧ يناير/كانون الثاني ج ٤ ص ٢)

أتبع في الدعاء نفس هذا الأسلوب الذي أقوم باتباعه دائماً. وأذكر في الأدعية الجميع قدر المستطاع اسماً اسماً أو بصورة جماعية، وأدعو لأحبائي ولغيرهم أيضاً، كما أدعو للذين لا أعرفهم. فإذا اتبعتم أنتم أيضاً هذا الأسلوب فسوف تُفقدون بتربية أولادكم الحسنة.

أنهي الآن خطابي بكلام لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام يقول فيه: "إذا أردتم أن تعيشوا بخير، وأن يسود بيوتكم الأمان، فمن واجبك أن تدعوا الله تعالى كثيراً، وأن تملأوا بيوتكم بالأدعية، فإن الله لا يدمر بيتاً يُداوم فيه على الدعاء". (الملفوظات ج ٣ ص ٢٣٢)

إلى هنا ينتهي خطاب اليوم، وأستأذنكم الآن، لكن قبل الانصراف ننهي الخطاب بالدعاء كما كان الحديث أنفاً يدور عن الدعاء.

ثم رفع أمير المؤمنين نصره الله يديه الكريميتين للدعاء ودعا بالحضور ثم سلّم عليهن وانصرف.

الكذب، بل كان يزيدنا نفوراً منه". أقول: إنني أيضا جرّبت هذا الأسلوب بناتي، وجعلتُهن يقربن الكذب. فالحمد لله الذي جعل بناتي يكرهن الكذب منذ صغر سنهن، فلا يكذبن ألبتة، أو على الأقل لم أطلع على مثل هذا الأمر.

لا تتذكر السيدة نواب مباركة بيجم إذا كانت السيدة أمان جان أم المؤمنين رضي الله عنها قد وبّخت أحداً، فتقول: "إنها لم تقسُ على أحد مع أنّها كانت ذات رعب، وكان يسودنا هذا الرعب دائماً، وكنا نحاول للإصلاح تحت تأثيره".

كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يحترمها احتراماً كبيراً، فمن أجل ذلك فإن الأطفال هم الآخرون كانوا يحترمونها احتراماً شديداً.

وتقول عن الأسلوب الخامس من أساليب التربية لسيدة "أمان جان" إنها كانت تقول: "اجتهدوا بكل ما في وسعكم لتربية البكر من أولادكم، فبمشاهدة أسوته سوف ينشأ الأولاد الآخرون على التربية الحسنة من تلقاء أنفسهم". (سيرة "أمان جان رضي الله عنها" تأليف محمود أحمد عرفاني)

أي إذا ربّيت الولد الأول تربية حسنة